قراءة تحليلية نقدية لمستويات الوقاية من تعاطي المخدرات

د. دريفل سعدة
مديرة مخبر استراتيجيات الوقاية و مكافحة المخدرات في الجزائر
جامعة زيان عاشور بالجلفة

تعتبر مشكلة المخدرات، إحدى أهم المشكلات التي تواجه العالم اليوم، فهي تنتشر في مختلف بلدان العالم سواء إنتاجا، استهلاكا أو عبورا. و تؤكد مختلف هذه الدول أن سبل الوقاية و طرق العلاج تمثل أنجح الوسائل للتعامل مع هذه الظاهرة ومكافحتها، حيث تلعب مختلف المؤسسات الموجودة في المجتمع، من أسر، مؤسسات تعليمية، وزارات، جمعيات دورا فعالا في القيام بهذه المهمة، و ذلك بإتباع أساليب وقائية مختلفة حسب درجة انتشار هذه الآفة في المجتمع، ووفق مراحل متتالية حتى تكون عملية الوقاية ناجحة.

تعتبر الوقاية من الوسائل الهامة والأساسية الواجب الاهتمام بها للحد من تفشي ظاهرة تعاطي المخدرات.يرى مصطفى سويف أنه لابد لأي سياسة وقائية متكاملة في ميدان التعاطي والإدمان أن تقوم على محاور ثلاثة هي : العرض ، الطلب والنتائج[1] . وبالتالي يمكن وضع تصورات وتدابير للقضاء على ظاهرة تعاطي المخدرات ، وهو ما يجعل جهود مكافحة المخدرات تتوزع في شكلين :

أ- جهود لخفض الطلب :

تتمثل في قمع ومراقبة المواد المخدرة ، تمارسه مصالح الأمن ، الدرك ، الجمارك ، القضاء . ووضع القوانين الصارمة في متابعة مهربي المخدرات .

ب- جهود لخفض العرض :

تتمثل في عملية توعية وتحسيس الشباب بأخطار المخدرات وهي تضم الإجراءات التالية:

[1]- سويف (مصطفى). مشكلة تعاطي المخدرات، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2000، ص142.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

- الوقاية
- العلاج
- إعادة الإدماج والتأهيل

مستويات الوقاية :

أ- تحديد westremeyerوArif:

حدد العديد من المختصين في مجال مكافحة المخدرات والوقاية منها أنماطا ومستويات مختلفة للتصدي ظاهرة تعاطي المخدرات . ومن بين المستويات الوقائية نجد التقسيم الذي وضعه westremeyerوArif، الذي يتمثل في :

1- الوقاية من المستوى الأول(Prévention prémaire) :

هي كل فعل موجه بهدف الحد من ظهور حالات جديدة للتعاطي ، يدخل فيها إجراءات التوعية والتحسيس ، وكذلك الإجراءات التي تتخذ على مستوى الدولة[1] المستوى الأول من الوقاية من تعاطي المخدرات تساهم فيه عدة هيئات أو مؤسسات مختلفة كالأسرة ، المدرسة ، المسجد ، وسائل الإعلام ، ومختلف مؤسسات الأمن من خلال التربية والإعلام والدعاية لمنع ظهور الأمراض والآفات الاجتماعية مثل المخدرات ، وبالتالي فإن الوقاية من الدرجة الأولى عبارة عن مختلف الإجراءات المتخذة على مستوى الدولة للإعاقة الكاملة لظهور مشكلة تعاطي المخدرات من خلال النشرات الإعلامية في مختلف وسائل الإعلام، واستعمال الملصقات في مختلف الأماكن العمومية وتوزيع المطويات على أفراد المجتمع، بالإضافة إلى تنظيم أيام دراسية وندوات للتعريف بظاهرة تعاطي المخدرات وتوضيح مخاطرها وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع ، وذلك بالاعتماد على أفراد متخصصين ذوي خبرة وعلم في هذا المجال .

2 - الوقاية من المستوى الثاني (Prévention secondaire) :

---

[1]- Arif (A),Westermeyer(J). Manual of drug and alcohol abuse, New York, Plenum,1998,p76.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تهدف إلى التدخل العلاجي المبكر لتفادي الوصول إلى درجة من الإدمان . وهذا المستوى يقوم على أساس الاعتراف بأن الشخص قد أقدم فعلا على تعاطي المخدر ، ولكنه لا يزال في مراحله الأولى.[1]

تظهر المستوى الثاني كإجراء يتخذ عند ظهور ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع من أجل الحد من انتشارها أو منع ظهور تعقيدات جديدة للظاهرة ، من أجل التشخيص المبكر وعلاج الاضطرابات والسلوكات المرضية الأولى ، حيث كلما كان التدخل مبكرا كلما كان العلاج سهلا وفعالا ، لأن الأفراد الذين يوجه إليهم هذا النوع من الوقاية هم أفراد تعرضوا فعلا لخبرة التعاطي . ومن أهم الإجراءات المتبعة في هذا المستوى من الوقاية هو كيفية العثور على حالات التعاطي التي تكون في بدايتها ، والتي يمكن أن تكون في العيادات الصحية والنفسية وحتى في المدارس والثانويات . حيث يتم التعرف على أهم الأسباب التي أدت إلى تعاطيهم للمخدرات وبالتالي يكون التدخل سريع ومبكر لمنع تأزم حالتهم.

3- الوقاية من المستوى الثالث(Prévention tertiaire) :

تحاول الوقاية من المستوى الثالث العلاج للخفض من مخاطر الإدمان ، ويتوسع في بعض الأحيان إلى ابتكار أساليب مرنة تسمح للمدمن أن يعيش حياة أقرب للسواء تعينهم للاستمرار في الحياة ولكن تحت المراقبة الطبية والأمنية [2]

الوقاية من المستوى الثالث تتمثل في علاج المدمن حتى يتوقف عن إدمانه مع اتخاذ تدابير معينة لمنعه من العودة إلى التعاطي والإدمان من جديد. فيخضع الشخص المدمن لعلاج خاص الهدف منه إزالة التسمم ويتم هذا في مراكز خاصة لعلاج المدمنين، بالإضافة إلى العلاج الاجتماعي بغرض إعادة إدماج المتعاطي وتكييفه مع المحيط الذي يعيش فيه. وكذلك العلاج النفسي الذي يعمل على تقوية قدرات الفرد السيكولوجية وتزويده بمهارات حل المشكل واستراتيجيات المقاومة للتصدي لمختلف الضغوطات التي يواجهها . إن توفير العلاج المتكامل الطبي ، الاجتماعي و النفسي يؤدي إلى الحد قدر الإمكان من مخاطر الإدمان على الفرد والمجتمع معا

---

[1]-Ibid,p78.

[2] - Arif (A),Westermeyer(J). Manual of drug and alcohol abuse, OPCIT,p79.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

نلاحظ أن دور الوقاية مهم جدا في مختلف المستويات الثلاث ، ولذا تتطلب تضافر جهود الأطباء والأخصائيين النفسانيين والاجتماعيين والمربين في مجال مشكل المخدرات ، بالإضافة إلى وسائل مادية هائلة .

ب- تحديد Francis Curtet:

ونجد تحديدا آخر وضعه الفرنسي فرنسيس كيرتت(Francis Curtet) الذي يحدد في ثلاثة أنماط كبرى للوقاية من تعاطي المخدرات ، التي تعتبر متكاملة فيما بينها تتمثل في[1]:

* الأنشطة المحلية
* الوقاية المركزة على الفئات المهنية
* الوقاية الموجهة للمجتمع العام

1- الأنشطة المحلية[2] :

ينطلق كيرتت من فكرة أن الأسباب الاجتماعية للإدمان على المخدرات ذات مصادر مختلفة، والأنشطة الوقائية تدخل ضمن كل معايير السياسة الموجهة للحد من هذه الأسباب كالبطالة، الإقصاء و التهميش . كما يرى أن عملية الوقاية يجب أن تكون دائمة ومستمرة وأن تمنح للشباب فرصة المشاركة في مشاريع حقيقية وفعالة تجعل منهم مسئولين، هذه المشاريع تحرك الشباب وتدفع بهم إلى عدم التأثر بمختلف المؤثرات الخارجية ، وهو ما سيجعل منهم أفرادا متمكنين من التحكم في حياتهم وتوجيهها نحو الأفضل .

ويؤكد كيرتت على ضرورة مساعدة المراهقين في خلق نوع من قنوات التضامن ، من أجل التعارف والاتصال ولإيجاد أجوبة للأسئلة التي يطرحونها فيما بينهم ، خاصة تلك المتعلقة بالمخدرات مع ضرورة وجود مختصين يوجهونهم .

ويعطي كيرتت أحد نماذج قنوات الاتصال والتضامن الذي تم إتباعه بفرنسا منذ1990 من طرف جمعية "الإصغاء الكبير" ، والذي يتمثل في تنظيم تجمعات مرة كل شهر ، حيث ينزل الناس إلى الشوارع للتعارف والتحدث حول ظاهرة المخدرات

---

[1] - Curetet (Francis). La drogue, Paris, ESF, p31.
[2] - Curet (Francis). La drogue, OPCIT, p32.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وآثارها على مختلف الأصعدة ومحاولة إيجاد السبل وطرق محاربتها وليس بالضرورة انتظار اليوم العالمي لمكافحة المخدرات من أجل تنظيم ملتقيات شهرية حسب ماهو معمول به بفرنسا .

فمن المستحسن تنظيم أيام وقائية بين مختلف المختصين من مربين ، أخصائيين اجتماعيين، رجال أمن ، أطباء ، صيادلة ، رجال قضاء ، مديري مؤسسات مختلفة من أجل إثراء الحوار حول ظاهرة تعاطي المخدرات ، والتعرض لها من مختلف جوانبها وطرح الأسئلة خاصة من طرف الأشخاص الذين يعرفون مدمنة ، مع محاولة تقديم النصائح والتوجيهات لمساعدتهم للخروج من دائرة الإدمان.

2- الوقاية المركزة على الفئات المهنية[1] :

هذا النوع من الوقاية يأخذ طابع التوعية والتحسيس ، يخص كل الفئات المهنية التي بإمكانها العمل في مجال الإدمان : أطباء ، قضاة ، رجال أمن ، أساتذة ، جمارك ، مربيين ، صحفيين ، وغيرهم من المهنيين ، حيث يتم التركيز على شكل المعلومة التي يقدمها كل عنصر في تخصصه . يرى كيرتت على سبيل المثال في المجال الطبي ، يجب التركيز وتحضير الأطباء حول العلاقة "طبيب-مريض" حيث تقدم لهم معلومات على أن الإدمان مرض اجتماعي ، بالإمكان الوقاية منه من خلال الحوار والإصغاء ، وذلك لحماية وتوعية مختلف الفئات والشباب خاصة قبل أن يقعوا في فخ المخدرات .

3- الوقاية الموجهة للمجتمع العام[2] :

نجد كيرتت يطرح تساؤلا في هذا المستوى من الوقاية المتمثل في : كيف بإمكان حملات التوعية والوقاية أن تمس ملايين الأشخاص ؟

يجيب على تساؤله بضرورة الذهاب إليهم إلى الأماكن التي يتواجدون فيها ، كشاشات التلفاز ، الراديو ، والصحف. فهو يركز على استغلال وسائل الإعلام لحملات الوقاية ، حيث من أجل تمرير رسالة الوقاية على المختصين في وسائل الإعلام خلق صفحات وحصص خاصة بموضوع المخدرات تركز على الوسائل

---

[1]- Curet (Francis). La drogue, OPCIT, p33.
[2] -Ibid, p34.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والطرق التي تمكن الجمهور سواء قراء أو متفرجين من التعرف على المدمنين وكيفية وقايتهم من الوقوع في عالم المخدرات.

نلاحظ أنه حسب كيرتت ومن أجل وقاية جيدة ضد تعاطي المخدرات ، نمر من أنشطة محلية للتضامن في الشوارع والأحياء من خلال وقاية تستهدف الفئات العاملة (أطباء ، قضاة ، صحفيين ...الخ) ، وأنشطة إعلامية (تلفزة ، صحف...الخ) موجهة للجمهور العام .

ج- تحديد ماهر إسماعيل صبري :

ينطلق ماهر إسماعيل صبري في تحديد مستويات الوقاية من تعاطي المخدرات من أسباب و دوافع الظاهرة، حيث يرى أن تحديد أسباب الإدمان ودوافعه هو الخطوة الأولى للوقاية من الوقوع فيه . وبالتالي يحدد مستويات الوقاية في[1]:

- الوقاية الخاصة بالفرد
- الوقاية الخاصة ببيئة الفرد ومجتمعه
- الوقاية الخاصة بالمواد المخدرة ذاتها

أ- الوقاية الخاصة بالفرد :

فيما يخص الوقاية الموجهة للفرد يرى "ماهر إسماعيل صبري "، أن توعية الأفراد بأضرار المخدرات وتصويب أفكارهم الخاطئة عنها ، ينبغي أن تكون للكبار والصغار ، للآباء والأمهات والأبناء كل على قدر استيعابه .

وبالتالي تكون عملية الوقاية في مختلف المراحل العمرية ، مع مراعاة الاختلاف في السن حين تقديم المعلومات لأن درجة الفهم والاستيعاب لدى الأطفال تختلف عنها لدى الكبار.

ويمكن تحديد أهم سبل الوقاية الخاصة بالفرد فيما يلي :

- قوة الإيمان والتمسك بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

للدين أهمية كبيرة في وقاية الفرد من مختلف الظواهر الاجتماعية السلبية والتي من بينها تعاطي المخدرات . والدين الإسلامي من الديانات التي تشدد على

---

[1]- صبري (ماهر اسماعيل). إدمان المخدرات، حوار في الأسرة، الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، 2001، ص94.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ضرورة محافظة المسلم على حيته وبالتالي الحفاظ على حياة الآخرين " فالإنسان المسلم الحق يلتزم بكل ما هو طيب، وينتهي عن كل ما هو خبيث ، ويلتزم بأوامر الله ولا يتعدى حدوده ، ولا يحل لنفسه ما حرمه الله عليه "[1]

إن الإنسان المسلم المتمسك بتعاليم دينه يكون بعيدا كل البعد عن تعاطي المخدرات مبتغيا بذلك مرضاة ربه وتطهير نفسه وجسده من المعصيات التي تم تحريمها بنص من الكتاب أو السنة .

- ابتعاد الفرد عن رفاق السوء :

مرافقة رفاق السوء المتعاطين للمخدرات من أهم الأسباب التي تؤدي بالأفراد إلى تعاطيها ، لما لهؤلاء الرفاق من تأثير سيئ على الآخرين " إن أثر الانتماء إلى جماعة مرجعية فاسدة في غاية الخطورة تعزي الطفل للقيام بأعمال منحرفة ، كأن تبين له محاسن المخدرات التي يحصل عليها مقابل التخلص من المتاعب والمشاكل التي يعيشها... فالجماعة المرجعية تعتبر من أكبر الأسباب الدافعة إلى تعاطي المخدرات"[2]

وبالتالي من أهم سبل وقاية الفرد لنفسه من تعاطي المخدرات اختياره لأصدقاء صالحين يثق فيهم.

- تعريف الفرد بأنواع المخدرات و أضرارها :

جهل الفرد و عدم معرفته لأضرار المخدرات ومخاطرها عليه وعلى المجتمع ، من أهم الأسباب التي تدفع به إلى تجريب المخدرات ثم تعاطيها ليدمن عليها في الأخير . فالعمل على رفع مستوى ثقافة الأفراد ومستوى وعيهم بالمخدرات ، وأضرارها والنتائج السيئة المترتبة عنها من أهم سبل وقايتهم منها.

- شغل أوقات الفراغ بعمل مفيد أو هوايات وأنشطة نافعة.

الفراغ يولد الضيق والملل لدى الفرد ، ويدفعه إلى ممارسة سلوكيات سلبية كتعاطي المخدرات . وعليه يجب شغل أوقات الفراغ بأنشطة ثقافية أو اجتماعية أو

---

[1]- نفس المرجع، ص ص 94-95.

[2]- الهابط (محمد السيد). التكيف و الصحة النفسية، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط2، دت، ص120.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

رياضية ، تساهم في بناء شخصية قوية للفرد تساعده في الابتعاد عن تعاطي المخدرات .

- عدم تناول الفرد شيء لا يعرفه :

على الفرد أن لا يتناول أي مادة لا يعرفها أو أي شيء يعطى له من طرف شخص لا يعرفه أو لا يثق فيه ، بالإضافة إلى عدم الإفراط في استعمال الأدوية والعقاقير دون إشراف طبيب متخصص.

ب- الوقاية الخاصة ببيئة الفرد ومجتمعه :

وتتمثل في :

- أن يكون الأب والأم قدوة صالحة للأبناء :

مدمن المخدرات قدوة سيئة لغيره خاصة إذا كان هذا السلوك السلبي صادر من الأب أو الأم أو كلاهما معا . أول ما يقلده الطفل هو سلوك والديه لذا وجب عليهما أن يكونا صادقين في أقوالهما وأفعالهما . مصداقا لقول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون* كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"[1]

- حل المشاكل الأسرية بعيدا عن الأبناء :

التفكك الأسري عامل أساسي في اتجاه البناء إلى تعاطي المخدرات " إن المناخ المشبع بالتوتر والشقاق ، أو التسلط المطلق والصرامة يولد القلق وعدم الاطمئنان في قلب الطفل... الزجر والعقاب ليسا إلا وسيلة يعبر بها الآباء عن رفضهم وعدم اهتمامهم باحتياجاته ، وقد يلازم الطفل هذا الإحساس طول حياته وينعكس على سلوكه اتجاه الآخرين ، فلا يبالي بحقوق الغير وإحساساتهم[2]

وفي وضعية كهذه يلجأ الأبناء إلى المخدرات لنسيان ما يعانونه من مشاكل ووحدة وتعويضا لفقدان الحنان والعطف الأسريين وبالتالي على الوالدين عدم نبذ الأبناء بسبب مشاكلهما ، مع مراعاة خصائص نموهم النفسية وإقامة حوار صريح مع الأبناء للتعرف على مشاكلهم والإجابة

---

[1]- القرآن الكريم. سورة الصف، الآيتان 2-3.

[2]- عوض (عباس). في علم النفس الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية، 1980، ص87.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

علـى تسـاؤلاتهم و استفسـاراتهم لحمـايتهم مـن الانحـراف ، واللجـوء إلـى رفـاق السـوء الذين يدفعون بهم إلى طريق المخدرات .

- مراقبة و توجيه سلوك الأبناء وتصرفاتهم:

قد يعتقد الأولياء أن مهمتهم اتجاه أبناءهم تنحصر في توفير الحاجيات المادية لأطفالهم، مهملين بذلك أمرا مهما وضروريا الذي يتمثل في الاتصال بالوسط الذي يتواجد فيه أبناءهم. من أجل التعرف على رفاقهم ومن يصاحبونهم حتى يتمكن الآباء من التدخل في الوقت المناسب.

بالإضافة إلى إعطاء المال للأبناء بحدود وعدم الإسراف في ذلك ، ومتابعتهم في كيفية إنفاقهم لذلك المال ، ومراقبة الآباء لأي تصرفات غريبة تطرأ على الأبناء وعدم السماح لهم بالغياب خارج المنزل أو في التأخر في العودة إليه بدون سبب .

ج- الوقاية الخاصة بالمواد المخدرة ذاتها :

على كل دولة أن تسيطر على مصادر المخدرات وتمنع دخولها إليها وإنتاجها محليا، وبالتالي تساهم في وقاية أبناءها من الوقوع في تعاطيها أو إدمانها. وعلى سلطات الأمن أن تبقى يقظة وأن تطور أساليب عملها، بالإضافة إلى فرض عقوبات رادعة لمن يهرب أو يروج أو يتعاطى المخدرات.

فرض الرقابة على الأفلام والإعلانات الصريحة الخاصة بتعاطي المخدرات أو التدخين أو شرب الخمر التي تزين للشباب تلك الأفعال، وهو ما يعتبر عنصرا هاما في الوقاية من تعاطي المخدرات.

وعلى المتخصصين في مجال الوقاية إعلام الشباب بمخاطر المواد المخدرة وأضرارها النفسية والجسمية والاجتماعية عليهم وعلى المجتمع ككل.

إحكام الرقابة على الأدوية والعقاقير المخدرة، وعدم بيعها إلا تحت إشراف طبي دقيق، وعلى الآباء عدم وصف تلك الأدوية لمرضاهم إلا في حالات الضرورة القصوى .

قائمة المراجـع:

القرآن الكريم. **سورة الصف**، الآيتان 2-3

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الهابط (محمد السيد). **التكيف و الصحة النفسية**، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط2، دت

سويف (مصطفى). **مشكلة تعاطي المخدرات**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2000

صبري (ماهر اسماعيل). **إدمان المخدرات، حوار في الأسرة**، الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، 2001

عوض (عباس). **في علم النفس الاجتماعي**، بيروت، دار النهضة العربية، 1980

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)